الدرس الثاني:

لمحة تاريخية حول ظهور التعليمية

الكفاءات الأساسية المستهدفة :

- ✓ **أن يطلع الطالب على الغموض التاريخي الذي يكتنف كلمة "التعليمية".**
- ✓ **أن يعرف الطالب الأسباب المباشرة و غير المباشرة لظهور التعليمية بمفهومها الحالي.**

****

مقدمة:

بعد تعريفنا لمفهوم التعليمية على أساس اهتمامها بتحليل سيرورات تعليم و تعلم مضامين المواد الدراسية من خلال تركيزها على ثلاث ركائز أو مركبات و المتمثلة في المركبة الابستمولوجية المتعلقة بخصوصية المضامين الدراسية و المركبة النفس- معرفية الخاصة بظروف التعلم و آلياته و كذلك المركبة التطبيقية المتجسدة في ممارسات بيداغوجية في الحجرات الصفية، نقدم عرضا في هذا الدرس حول الجوانب التاريخية لمدلول كلمة "تعليمية" و للظروف التي أدت إلى ظهور هذا المفهوم الحديث نسبيا في ميدان علوم التربية.

فمن شأن هذه الإحاطة التاريخية بمصطلح "التعليمية" أن يسمح للطالب بفهم أعمق لمفهوم التعليمية بمدلولها الحالي الذي يتقاسمه المتخصصين في دراسة سيرورات تعليم و تعلم مختلف المواد الدراسية و في مقدمتها العلوم التجريبية.

1 تاريخ تطور دلالة كلمة "التعليمية":

1 1 توضيح اصطلاحي: بداية، تجدر الإشارة إلى وجود اختلاف واضح في ترجمة كلمة "didactique"في المراجع المحررة باللغة العربية. فقد سجلنا استخدام عدة ترجمات لهذه الكلمة نذكر منها: التعليمية و الديداكتيك و طرائق التدريس و علم التعليم والتربية الخاصة في كليات علوم التربية بالتحديد .

في بلدنا، تم اعتماد كلمة "التعليمية" كترجمة لكلمة "didactique" و استخدمت رسميا من طرف وزارة التربية الوطنية و وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

2 1 الدلالة اللغوية الأصلية لكلمة "التعليمية": في اللغة العربية، كلمة التعليمية هي مصدر صناعي لكلمة تعليم والتي اشتقت بدورها من فعل "علم" بتشديد اللام أي وضع علامة على الشيء للدلالة عليه دون إحضاره (حنفي بن عيسى، 2003).

في مختلف المراجع التي تمكنا من الاطلاع عليها، لاحظنا وجود إجماع على اعتبار أن كلمة "التعليمية" – و ليس استخدام هذه الكلمة كنعت- ذات أصل يوناني didactikos والتي تعني: " فلنتعلم، أي فليعلم بعضنا بعضاً".

كما أن هذه الكلمة بدورها مشتقة من المصدر الإغريقي didaskein والذي يعني التعليم.

إذن، يدل المعنى الأصلي لكلمة التعليمية على أنها تهتم بالتعليم.

3 1 الدلالة التربوية لكلمة التعليمية:

من الناحية التاريخية، تدل أغلب الدراسات المنجزة على أن كلمة التعليمية قد تم استخدامها لأول مرة في ميدان التربية سنة 1613 م في منشور عنوانه : تقرير مختصر في الديداكتيك أو فن التعليم من طرف هيلينغ وراتش. ففي سنة 1657م، نشر التربوي المشهور كومينيوس comeniusكتابه بعنوان: الديداكتيك الكبرى didactica magma وذلك بمدلول الفن العام للتعليم.

في هذا الاتجاه، فقد أشار كل من فارنيو وكورني Vergnioux et Cornu (1992) حسب مقال محمد صهود (2015)، أن بروز فكرة التعليمية في القرن 18 م مرتبط بفكرة "المنهج" méthode للفيلسوف ديكارت لغرض تنظيم عمليات التفكير و بالتالي إضفاء الطابع العقلاني المنهجي للأساليب البيداغوجية المستخدمة في التعليم. فهو بذلك يمثل "عقلنة" للتعليم بتنظيمها منهجيا على شكل مراحل وخطوات متسلسلة منطقيا كما هو الحال في المنهج العلمي.

بشكل عام، تأرجح مدلول هذه الكلمة بين مدلول "فن التعليم" و "التعلم" حيث يمكن تمييز المراحل الأساسية الآتية:

المرحلة 1 : أوائل القرن 19 م، وضع الفيلسوف الألماني هاربارت Herbert (1770-1841م) الأسس العلمية للتعليمية كنظرية للتعليم. معنى ذلك أن التعليمية ترتكز أساسا على تحليل النشاطات التي يقوم بها المعلم في المدرسة.

المرحلة 2 : في بداية القرن الـ20 م، ظهر تيار التربية الحديثة بريادة جون ديوي (1859-1952) حيث أولى هذا التيار التربوي أهمية قصوى لنشاط التلميذ في وضعيات عملية لضمان

تعلمات حقيقية، مما أدى بهذه النظرية التربوية إلى تغيير مدلول كلمة التعليمية لتصبح هذه الأخيرة لها مدلولا مكافئا لنظرية التعلم وليس التعليم. إذن، أحدث جون ديوي ومدرسته المرتكزة على البيداغوجية النشطة تغييرا جذريا على مدلول كلمة التعليمية.

المرحلة 3: نتيجة التطور الهام الذي عرفه مجال البحث التربوي بداية من منتصف القرن الـ20 م أي سنوات الستينات و السبعينات، اتضح أن ربط مدلول "التعليمية" بمفهوم تربوي واحد أي "التعليم" عند هاربرت أو "التعلم" عند ديوي يعبر عن نظرة متناقضة لذلك الارتباط الوثيق والدائم بين عملي "التعليم و التعلم" . فباعتبار أن كل من فعلي "التعليم"و"التعلم" يمثل وجهين لعملية مركبة واحدة، فإن فصلهما عن بعضهما البعض عملية مصطنعة بعيدة عن الواقع. فعندما يقوم المعلم بتقديم الدرس، فالتلاميذ يقومون بعملية التعلم في نفس الوقت مصاحبة لتفاعلات وجدانية بين المعلم والتلميذ في الحجرات الصفية.

بالنظر إلى هذه الاعتبارات، فإن مدلول كلمة التعليمية تغير ليصبح مكافئا لتحليل سيرورات تعليم وتعلم المضامين الدراسية. و عليه، تم ربط فعلي التعليم والتعلم في عملية تحليلية واحدة غير قابلة للانفصال متضمنة في المدلول الحالي لمصطلح "التعليمية".

مع ضرورة التأكيد على أن تعليمية مادة دراسية ما تستعين بعلوم أخرى كالإبستمولوجيا و تاريخ العلوم و علم النفس النمو و نظريات التعلم لتفعيل تعلم المضامين الدراسية بجعل التلميذ في مركز العملية التكوينية له.

2 الأسباب التاريخية لظهور التعليمية:

1 2 الأسباب المباشرة: ضعف التحصيل الدراسي في المواد العلمية: شهدت سنوات النصف الثاني من القرن ال20 م بذل جهود عالمية مكثفة لإصلاح الأنظمة التربوية لهدف تحسين مردودها في تدريس المواد العلمية. فمن بين الجوانب التي تجسدت فيها هذه الإصلاحات التربوية، نجد تلك الجهود التي مست المناهج والمقررات الدراسية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية و عدة دول أوروبية مثل بريطانيا و فرنسا و ذلك من خلال العديد من لجان الإصلاح التربوي.

إن التركيز على مناهج العلوم منها العلوم الفيزيائية يمكن تفسيره بالأثر المستقبلي للتكوين العلمي للتلاميذ، مما سيساهم في التطور العلمي والتكنولوجي وبالتالي تحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجتمعات.

لكن، الجهود المبذولة لم تحقق ما كان منتظرا منها حيث استمرت الصعوبات المصادفة من طرف أعداد معتبرة من التلاميذ، مما نتج عنه تحصيل علمي محدود في العلوم التجريبية وفي مقدمتها العلوم الفيزيائية.

فبالرغم من الكفاءة العلمية التي كان يتمتع بها أغلبية الأساتذة، إلا أن ضعف التحصيل الدراسي للتلاميذ دفع بالمتخصصين في الميدان التربوي إلى طرح تساؤلات وجيهة حول الأسباب العميقة المسببة له والبحث عن الحلول الملائمة لتجاوز هذه الصعوبات التي أخذت الطابع العام حيث تجاوزت مجال دولة ما بل شملت أغلب الدول الأوروبية وأمريكا وكندا.

في هذا الشأن ، لم تحقق مقاربات البيداغوجية العامة تجاوزا لهذه المشكلة التربوية و ذلك بالنظر إلى أن أصل هذه الإشكالية التربوية – ضعف التحصيل الدراسي في المواد العلمية- لا يمكن حصرها فقط في الجوانب النفسية والاتصالية للوضعية التربوية.

وعليه ، وجب البحث عن مقاربة تربوية جديدة لحل صعوبات تعلم المضامين العلمية وبالتالي التوصل إلى الحلول العملية لتحسين التحصيل العلمي للتلاميذ، مما سيساهم حتما في تحقيق أهداف التكوين العلمي للمتعلمين في مختلف أطوار التعليم

فمن خلال تحليل الظروف التي أدت إلى ظهور تعليمية مادة التخصص، نستخلص أن تدني المستوى التحصيلي للتلاميذ في المواد العلمية في العديد من الدول الأوروبية و كذا الولايات المتحدة الأمريكية و كندا كان سببا رئيسيا مباشرا لبروز هذا التخصص الجديد في مجال علوم التربية.

2 2 التنافس الاقتصادي العالمي و دور العلوم في السيطرة على الاقتصاد: شهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية – أي بداية النصف الثاني من القرن الماضي- تنافسا إقتصاديا حادا بين الدول لهدف تحسين الظروف الاقتصادية و الاجتماعية للشعوب من جهة، و للسيطرة على الاقتصاد و المال في العالم من جهة أخرى.

فنظرا للدور المركزي للعلم و للتكنولوجيا في التكوين العلمي للتلاميذ في تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي في الدول الغربية بالتحديد، فقد أولت المنظومات التربية لهذه الدول عناية فائقة للمناهج الدراسية للعلوم كالعلوم الفيزيائية مثلا لهدف ضمان التكوين العلمي الجيد للتلاميذ الذين سيصبحون مستقبلا – أي بعد عشرين سنة تقريبا- مسيري البنوك و المصانع و الشركات والبورصات و قادة للجيوش و مخططي السياسات الخارجية للدول الأوروبية و أمريكا الشمالية.

و عليه، يعتبر التركيز على التكوين العلمي- التكنولوجي للتلاميذ لغرض تحقيق التفوق الاقتصادي و التكنولوجي للدول الأوروبية هدفا رئيسيا غير مباشر في الاهتمام بتدريس العلوم و مواجهة صعوبات التعلم، مما أدى إلى بروز مقاربة جديدة لحل هذه الصعوبات و التي تتمثل في تعليمية المواد الدراسية.

خاتمة:

تاريخيا، تأرجح مدلول كلمة "التعليمية" بين فن التعليم و التعلم حيث أنه حاليا، تم الربط بينهما في سيرورة واحدة: تعليم- تعلم.

كما أن الظهور التاريخي للتعليمية كحقل معرفي حديث نسبيا في ميدان علوم التربية له أسباب مباشرة وغير مباشرة ذات علاقة بالرغبة في ضمان تكوين علمي- تكنولوجي فعال للتلاميذ قصد التحقيق المستقبلي للتفوق الاقتصادي للدول و لتحقيق التنمية الاجتماعية لشعوب الدول الأوروبية و لدول أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة و كندا).

بالتوفيــق.